الفصل الثالث عشر

فيه كتاب جامع لما يستحب أن يقول العبد إذا استيقظ من نومه للتهجد، وفى يقظته عند الصباح [١]

ليقل إذا استيقظ من منامه بُكرةً: أصبحنا وأصبح الملكُ لله، والعظمة لله، والسلطان لله، والبهاء لله، والقدرة لله، والعزة لله، والتسبيح لله، أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملّة أبينا إبراهيم حنيفًا، وما كان من المشركين. الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور.

اللهم إنا نسألك أن تبعثنا فى يومنا هذا إلى كل خير، ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءًا أو نجرَّه إلى مسلم، فإنك قلت: ﴿**وهُو الذى يَتَوفَّاكُم باللَّيلِ ويَعْلَمُ ما جَرَحْتُم بالنَّهارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُم فِيه لِيُقْضَى أجَلٌ مُسَمًّى**﴾ [الأنعام: ٦٠].

اللهم فالقَ الإصباح، وجاعلَ الليل سكنًا، والشمسَ والقمرَ حسبانًا، أسألك خيرَ هذا اليوم وخيرَ ما فيه، وأعوذ بك من شرّه وشرِّ ما فيه.

بسم الله، ما شاء الله، لا قوةَ إلا بالله، ما شاءَ الله، كلُّ نعمة من الله، ما شاء الله، الخيرُ كلُّه بيد الله، بسم الله، لا يَصْرف السوءَ إلا الله، رضيتُ بالله عزّ وجلّ ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، ربّنا عليك توكّلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. وليقرأ المعوذتين.

فإذا أمسى قال مثل ذلك كله، إلا أنه يقول: أمسينا وأمسى الملك لله عزّ وجلّ، أسألك خير هذه الليلة.

ولا يدع أن يقول فى كل ليلة: بسم الله الذى لا يضُرُّ مع اسمه شىءٌ فى

(١) راجع فى مثل هذا: الإحياء ١/ ٣٥٠ ـ ٣٦٠، والغنية ٣/ ١٠٥٦ وما بعدها.

الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم. أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلِّها من شرِّ ما ذرأ وبرأ، ومن شر كلِّ ذى شر، ومن شر كلِّ دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتها. إن ربىّ على صراطٍ مستقيم.

وإن قَلَّ دخوله الخلاء عند وقت السَّحَر كان أفضل؛ كيلا يشغله عن الذكر، يجعل ذلك فى آخرِ النهار أو من أول الليل، فقد فعل ذلك كثيرٌ من الصالحين، وهو حسن، إلا أن دخولَ الخلاءِ عند الصّباحِ أصلحُ للجسد من جهة الطب، وأنظفُ للطهارةِ، سيما لمن يأكل بالنهار.

• ذكر ما يستحب من القول إذا أخذ العبد مضجعه للنوم:

ليقل: «باسمك ربّى وضعتُ جنبى، وباسمك أرفعه. اللهم إن أمسكت نَفْسى فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلْتها فاعْصِمها واحفظها بما تحفَظُ به عبادَك الصالحين».

وعلّم رسول الله ﷺ البراءَ بن عازب أن يقول إذا أخذ مضجعه ليلاً: «اللهم إنى وجَّهْتُ وجهى إليك، وفوَّضتُ أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رهبةً ورغبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذى أنزلت، وبرسولك الذى أرسلت»[(١)].

وروى عن النبى ﷺ أنه كان يقول عند النوم: «اللهمّ قِنى عذابك يوم تبعث عبادَك»[(٢)].

وأنه أمر أن يقال: «الحمدُ لله الذى عَلا فقَهر، الحمد لله الذى بطَن فجَبر، الحمدُ لله الذى ملَك فقدَر، الحمدُ لله الذى هو يحيى الموتى، وهو على كلِّ شىءٍ قدير»[(٣)].

---

(١) انظر: السلسلة الصحيحة، رقم ٢٨٨٩، وصحيح الأدب المفرد، بتحقيق الألبانى، رقم ٩٢٠.

(٢) السلسلة الصحيحة، رقم ٢٧٥٤.

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى الدرداء، وقال الهيثمى: «وفيه أبو جناب الكلبى وهو ضعيف» المجمع ١٠/ ١٢٤، والترغيب ١/ ٤١٧.

وليقل بعد ذلك: اللهم إنى أسألك الراحةَ بعد الموت، والعفوَ عند الحساب، اللّهم إنى أعوذُ بك من غَضبك، وسوءِ عقابك، وشرِّ عبادك، وشرِّ الشياطين وشِرْكِهم.

وليقرأ: خمسًا من أول سورة البقرة، وثلاثًا من آخرها، وآيةَ الكرسى، والآيتين اللتين بعدها.

وليقرأ قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، والآيةَ التى بعدها إلى قوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤]. ويقال: من قرأ هذه الآية عند منامِه حُفِظ عليه القرآنُ فلم يَنْسَه.

ولا يدع أن يقرأ آخر الإسراء؛ الآيتين: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ...﴾، وهذه الآية من سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذى خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الاعراف:٥٤]، فإنه يدخل فى شعاره[1] مَلَك يُوكَّل بحفظه، ويستغفر له.

وليقرأ الخمسَ آيات من أوّل سورة الحديد، والثلاثَ من آخر سورة الحشر، و﴿قُلْ يا أيُّها الكافِرُون﴾ ، و ﴿قُلْ هُو اللهُ أحَد﴾ ، والمعوذتين، ويَنْفُثُ بهنّ فى يديه، ويمسح بهما وجهَه وسائرَ جسده. كذلك روى عن النبى ﷺ من قوله وفعله.

وليقرأ عشرًا من أوّل الكهف، وعشرًا من آخرها. وهذه الآى لقيام الليل.

وأمر رسول الله ﷺ بقراءة: ﴿قل يا أيُّها الكافِرُون﴾ عند النوم. وكان عليه الصلاة والسلام يقول: «ما أرى أن رجلاً مستكملَ عقلِه، ينامُ قبل أن يقرأ الآيتين من [آخر] سورة البقرة ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ ، وليقل: اللهم أيقظنى فى أحبّ الساعات إليك، واستعملنى بأحب الأعمالِ لديك، التى تقربنى إليك زلفى، وتبعدنى من سخطك بعداً، أسألك فتعطينى، وأستغفرك فتغفر لى، وأدعوك فتستجيب لى. اللهم لا تؤمِّننى مكْرك، ولا تولِّنى غيرك، ولا ترفعْ عنى سترك،

(١) الشعار: ما ولى جسدَ الإنسان دون ما سواه من الثياب.

ولا تُنسنى ذكرك، ولا تَجْعلنى من الغافلين.

يقال: من قال هذه الكلمات عند نومه أهبط اللهُ سبحانه وتعالى ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة، فإن صلَّى ودعا أمَّنوا على دعائه، وإن لم يقم تعبّدت الأملاكُ فى الهواءِ وكُتب له ثواب عبادتهم.

وليسبّح ثلاثًا وثلاثين مرة، وليحمد ثلاثًا وثلاثين مرة، وليكبِّر أربعًا وثلاثين مرة، وإن شاء ربَّعَها خمسًا وعشرين مرة، وزاد فيها التهليل، وإن شاء قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، خمسًا وعشرين مرة، فهنّ يجمعن له مائة كلمة، وهو أخفّ عليه للمداومة.

وقد أمر رسول الله ﷺ بذلك، وندب إليه فى أدبار الصلوات الخمس، وعند النوم.

وروينا عن مطرف عن الشّعبى عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خدّه على يده اليمنى، وهو يرى أنّه مَقْبوض[1] فى تلك الليلة: اللهمَّ ربّ السموات السبع، وربّ العرشِ العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شىء، منزِّلَ التوراةِ، والإنجيلِ، والزبور، والفرقان، فالق الحبِّ والنوى، أعوذ بك من شرّ كل دابة أنت آخذ بناصيتها. اللهم أنتَ الأول فليس قبلك شىء، وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء، وأنت الباطن فليس دونك شىء، اقضِ عنّى الدَّيْن وأغننى من الفقر».

فهذا جامع ما يُستَحبُّ من قراءةِ الآى والدّعاء عند النوم.

(١) قولها «وهو يرى أنه مقبوض»: أى يوطِّن نفسه ﷺ أن هذه آخر ليلة له فى الدنيا، وكذا أمرَ أمّتَهُ بتقصير الأمل، وأن يدعو المسلم قبل نومه دعاء من يفارق الحياة، وسيجىء التنبيه على ذلك من أبى طالب.

• ذكر هيئة العبد عند النوم، وأهبته للمضجع، ومعنى الاعتبار بذلك لذوى الأبصار:

يُستحبُّ للعبد أن ينامَ على طهارةٍ سابغة، وإلا مسح أعضاءه بالماء مسحًا، وقد كانوا يستحبّون السّواك عند النوم، [كما يستحبّونه عند الاستيقاظ][١]، فكان رسولُ الله ﷺ يفعله، وكان بعض السّلف يجعل عند رأسه سواكَه وطَهُوره، فإذا تعارَّ[٢] من الليلِ استاك، ومسح أعضاءه بالماء مسحًا، وذكر اللهَ عزّ وجلّ بالتلاوة والتسبيح، ثم رقَد. وكانوا يعدّون هذا يَعدِل قيامَ الليل[٣]. وقد روى هذا الخبر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وعن غيره.

وروينا عن رسول الله ﷺ نحوه، وأنه كان يستاك فى كلِّ ليلة مرارًا عند كلّ قَوْمةٍ من نومه[٤].

فليعدّ العبدُ طهورَه وسواكه عند رأسه، وينوى قيامَ الليل، فأىّ وقت استيقظ توضأ وصلّى، أو قعد فقرأ، أو دعا وذكر الله عزّ وجلّ واستغفره، أو تفكّر[٥] فى آلائه وعظمته ومعانى قدرته. ففى أىّ وجهٍ أخذَ من هذه الأذكار والأفكار[٦] فقد استعمل بذلك، وفيه قُربة إلى الله عز وجلّ، وهو فضلٌ من الله تعالى ورحمةٌ عليه.

ولا ينبغى للعبد أن يبيت وله شىء يوصى فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده، فإنه لا يأمن القبضَ والوفاة. وقد ندب رسولُ الله ﷺ إلى ذلك فى قوله: «لا ينبغى لعبدٍ أن ينام لَيلتين وله شىء يوصى فيه إلا ووصيتُه مكتوبة عنده»[٧].

---

(١) ساقطة من (ط) وأثبتها من (ك).

(٢) فى (ط): «فإذا انتبه»، وأثبت ما فى (ك).

(٣) فى (ط): «وكانوا يذكرون الله عز وجل بالتلاوة والتسبيح فى تقلبهم ويعدون هذا يعدل قيام الليل» وأثبت عبارة (ك).

(٤) انظر مسند أحمد ٥/ ٤١٧، وكتاب الطهارة فى مسلم وغيره.

(٥) عبارة (ك) باللام المؤكدة: «فليتوضأ... أو ليتفكر».

(٦) فى (ط): «ففى أى وجه أخذ من هذه المعانى فهو ذكر».

(٧) صحيح فى كتب السنة باختلاف يسير، أخرجه البخارى، كتاب الوصايا، رقم ١٥، ومسلم، كتاب الوصية، رقم ١، ٤، وغيرهما.

ويقال: من مات عن غير وصية لم يؤذن فى الكلام فى البرزخ إلى يوم القيامة[١]، تتزاور الأمواتُ ويتحدثون وهو لا يتكلم فيما بينهم إلى يوم القيامة، فيقول بعضُهم لبعض: هذا المسكين مات عن غير وصية. فيكون ذلك حسرةً عليه بينهم، [وذلك أن] موتَ الفَجْأة تخفيفٌ ومستحبّ للمؤمن الفقير للثواب، الذى لا مال له، ولا دَيْن عليه. فأما المُثْقل بالدَّين، أو المخلّط فى الدَّين، أو مَن له مال [وعليه دين]، أو هو مُصِرٌّ على مَطْل[٢]، فإنّ موتَ الفَجْأة لهؤلاء عقوبةٌ ومكروه.

ولا ينبغى للعبد أن يَبِيتَ إلا تَائبًا من كلِّ ذَنْبٍ، سليمَ القلبِ لجميع المسلمين، لا يحدِّث نفسَه بظُلم أحدٍ، ولا يَعْقِد على خطيئةٍ إن استيقظ.

وقد جاء فى الخبر: «من أوى إلى فراشه، لا ينوى ظلمَ أحدٍ ولا يَحْقِدِ على أحدٍ، غُفر له ما اجْترم»[٣].

وليستقبل فى نومه القبلةَ. واستقبالُ القبلةِ على ضربين: إن كان مستلقيًا، فاستقبالُه القبلةَ أن يكون وجهُه إليها مع أخمص قدميه، كحال الميت المسجَّى. وإن كان نائمًا على جنبٍ فاستقبال القبلة أن يكون وجهُه إليها مع شقه الأيمن، كهيئة الملحَّد فى قبره، فسيصير إليه عن قريب. وليَذكر [العبدُ] بنَوْمه على هذين الحالين [ذينك الحالين][٤] عند موته، وحين اضطجاعه فى قبره، [فيصير إليها عن قريب فلا يسهى]. وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾ [المرسلات ٢٥ ـ ٢٦] فى أحد الوجهين، وهو مذهب أهل التفسير، أى: يكفتهم ويجمعهم أحياءً على ظهرها، وأمواتًا فى بطنها.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى النومَ من آياته الدالة على [وحدانيته] لأهل

(١) روى شىء من هذا مرفوعًا من حديث قيس بن قبيصة بلفظ: «من لم يوص لم يؤذن له فى الكلام مع الموتى...» قال الزبيدى ٥/١٥٩: «رواه أبو الشيخ فى كتاب الوصايا».

(٢) عبارة (ك): «فأما المثقل المخلط أو المصر أو الذى له مال».

(٣) قال العراقى ١/٣٤٢: «رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب السنة من حديث أنس بلفظ مختلف وسنده ضعيف»، وانظر: الإتحاف ٥/١٥٩.

(٤) ساقطة من (ط) وكذا المواضع الآتية والتى سبقت، فإنى لا ألتزم الإشارة إليها فى كل موضع، حتى لا ينشغل بها القارئ.

السّمع منه، [والاستجابة له][1]، وهو سمع اليقين، وقرنه بالابتغاء من فضله، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣].

وكان فقراءُ أهلِ الصُّفّة وبعضُ زهاد التابعين إذا رقدوا لا يجعلون بينهم وبين الأرض شيئًا. كان أحدهم يباشر التراب بجلده، ويطرح ثوبه فوقه، ويقول: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥]، كأنهم كرهوا الترفّع عليها والوقايةَ منها، يجدون ذلك أرقَّ لقلوبهم، وأبلغَ في تواضعهم.

ومَثَلُ النّومِ عند أهل الاعتبار مَثَل البرزخ هو بين الدّنيا والآخرة، كذلك النّوم بين الحياة والموت، فإذا كُشِف حجابُ النوم ظهرت الدنيا بالحكمة، وكذلك إذا كُشف الغطاءُ ظهرت الآخرة بالقدرة، فصارت الدنيا كالأحلام في النوم، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وكان بعضهم يقول: عجبًا لمن يَعْصي الله عزّ وجلّ ثُمَّ ينام بعد ذلك. وذكر بعضُ العلماء عن الله عزّ وجلّ: إن كنتم تعصونى فاخْرجُوا مِن بساطى، ولا تناموا فى قبضتى.

وقال لقمان لابنه: يا بنيّ إن كنت تشك فى الموت فلا تنم، فكما أنك تنام فكذلك تموت. وإن كنت تشك فى البعث فإذا نِمت فلا تنتبه، فكما أنّك تنتبه بعد نومك فكذلك تُبعث بعد موتك.

فيلتذكّر العبدُ عند نومِه حين موته[2]، وليعلم أن الله تعالى يكون له بعد موته كما كان العبدُ له قبل نومه، فلينظر على أى حال نام وعلى أى هَمٍّ توفاه الله عليه، وليتذكر بانتباهه البعثَ، فإن العبد يُبعث على ما مات عليه فى الدنيا، فيُبْعَث بهمِّه، ويُحشر مع محبوبِه. كما ينتبه النائم عن همِّه إلى محبوبه الذى نام عنه.

(١) من (ك)، وكذلك المواضع السابقة التى بين المعكفات.

(٢) حين موته: أى وقت موته وأجَلِه.

وفى الخبر: «إن المرءَ مع من أحبّ، وله ما احتسب».

وروى عنه ﷺ: «من مات على مرتبة من المراتب بُعث عليها يوم القيامة»[١].

وروينا عن كعب الأحبار قال: إذا نمت فاضطجع على شقّك الأيمن، واستقبل القبلة بوجهك، فإنها وفاة.

• بيان آخر من الاعتبار لأهل التبصرة والتذكار:

وليعلم العبد أن الله عزّ وجلّ يكون له بعد بعثه من قبره كما كان العبد له بعد بعثه من نومه، فلينظر إلى أى حال يُبعث.

فإن كان العبدُ لنظرِ مولاه مُكرِمًا، ولحرماته مُعَظِّمًا، وإلى محبوبه ومرضاته مُسارعًا، كان اللهُ تعالى فى آخرته لوجهه مُكرمًا، [ولشأنه مُعظِّمًا، وإلى مسرته من النعيم المقيم مسارعًا][٢].

وإن كان العبدُ فى حقِّ مولاه مُتهاونًا، وبأمره مُستَخفًّا، ولشعائره مُستَصْغِرًا، كان الله تعالى [لوجهه] مهينًا، وبشأنه متهاونًا، [وإلى ما يكرهه من العذاب الأليم مسارعًا][٣]. قال الله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِين آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالحاتِ ولا المُسِيءُ**﴾، ثم قال: ﴿**قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [غافر:٥٨] موبخًا لهم بذلك. وقال فى مثله: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمينَ كالْمُجْرِمينَ**﴾ [القلم:٣٥]، ثم قال: ﴿**مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ [القلم:٣٦] ذامًا عائبًا لحكمهم.

ثم أخبر بحكمه فيهم فقال: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئات أن نَجْعَلَهم كالَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات سواءً مَحْيَاهُم وَمَمَاتُهُم ساءَ ما يَحْكُمُون**﴾ [الجاثية:٢١]. هكذا تقدير الكلام، وهو من المقدَّم والمؤخَّر، فرفع حسناتهم، وأخبر بسوء حكمهم، ثم ذكر حكمهم عنده فى المحيا والممات، فقال: ﴿**سواءً مَحْيَاهُم**

(١) السلسلة الصحيحة، رقم ٢٨٣. وسوف أعود إلى تخريج جميع الأحاديث تخريجًا كاملاً فى نهاية الكتاب.

(٢) كانت الفقرة مضطربة فى (ط) فقومتها من (ك).

(٣) من (ك) وهى ساقطة من المطبوعة.

﴿وَمَمَاتُهُم﴾ ، أى: كما كانوا فى الحياة، كذلك يكونون بعد الوفاة. ثم عقب ذلك بذكر عدله فى خلقه فقال: ﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ والأَرضَ بِالحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية:٢٢] فكان هذا فصل الخطاب، وتِذْكار أُولى الألباب.

وقال فى معناه، وأمر بتدبّر كلامه، وأمر بتذكّر العقلاء عن خطابه، فقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِه وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩] هل يتدبرون فيجدون أنَّا نجعل المفسدين كالمصلحين، أم نجعل المتقين كالفاسقين؟ وهو قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالفُجَّارِ﴾ [ص:٢٨]. فالتدبّر: التفهّم. والتذكّر: التقوى والعمل.

وروينا عن رسول الله ﷺ: «مَنْ أحبَّ أن يعلمَ منزلتَهُ عندَ الله عزّ وجلّ فلينظر كيف منزلةُ اللهِ تعالى من قلبِه، فإن الله عزّ وجلّ يُنزل العبدَ عندَه من حيث أنزله العبدُ من نفسه»[(١)].

فإذا نام العبد على طهارة وذكر، وعن مثل هذه المشاهدة والفكر، فإنّ مضطجعه يكون مسجدًا، وإنّه يُكتب مُصَلّيًا حتى يستيقظ، ويدخل فى شعاره مَلَك، فإن تحرك فى نومه فذكر الله عزّ وجلّ دعا له الملك واستغفر له[(٢)].

وفى الخبر: «إذا نام العبدُ على طهارة عُرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة»[(٣)]. وإن لم ينم على طهارةٍ قَصُرت روحه عن البُلوغ، فتلك المنامات

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٢/٢٨٩.

(٢) يقول صاحب الغوارف (ص ٣٣٦): «فإذا استيقظ العبد من النوم فمن أحسن الأدب عند الانتباه أن يذهب بباطنه إلى الله، ويصرف فكره إلى أمر الله، قبل أن يجول الفكر فى شىء سوى الله، ويشغل اللسان بالذكر... والعبد إذا انتبه من النوم فباطنه عائد إلى طهارة الفطرة، فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى، حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذى انتبه عليه، ويكون فارًا إلى ربّه بباطنه خوفًا من ذكر الأغيار».

(٣) هذا الحديث ذكره أبو طالب بمعناه، وهو بلفظ مختلف فى مستدرك الحاكم ٤/٣٩٦ ـ ٣٩٧، وتعقبه العراقى وقال: «من حديث على وسنده ضعيف».

أضغاثُ أحلامٍ لا تُصدَّق.

فإن غلبه النوم حتى يصبح حُسِب له قيام ليلة، وكان نومه عليه صدقة، ومَن كان هذا وَصْفه فى منامه يسبق كثيرًا من العبادِ فى قيامهم عن شهودِ غفلةٍ وسهوٍ.

وقد روينا فى خبر: «نوم العالِم عبادةٌ، ونَفَسُهُ تَسْبِيحٌ»[1].

• ذكر ما يستحب من القول عند القيام إلى التهجد:

فإذا قام من الليل متهجدًا فليقل: الحمدُ لله الذى أحيانى بعد إذ توفّانى وإليه النشور. وليقرأ العَشر الأواخر من سورة آل عمران، وليستك وليتوضأ، ويقول: سُبحانَك وبحمدِك لا إله إلا أنت، أستغفرُك وأسألك التوبةَ، فاغفرْ لى وتُب علىَّ، إنك أنتَ التوّاب الرحيم. اللهم اجعَلْنى من التوّابين، واجْعلنى من المتطهرين، واجعلنى صبورًا شكورًا، واجعلنى أذكرك كثيرًا وأسبِّحك بُكرة وأصيلاً.

ثم يرفع رأسه إلى السماء فيقول: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، وأعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سَخَطك، وأعوذ بكَ منك، لا أُحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، أنا عبدك ابنُ عبدك، ناصيتى بيدك، جارٍ فىّ حكمك، عدلٌ فىّ قضاؤك، هذه يدى بما كسَبت، وهذه نفسى بما اجْترحت، لا إله إلا أنتَ سبحانك إنّى كنتُ من الظّالمين، عملتُ سوءًا وظلمتُ نفسى، فاغفر لى ذنبى إنك أنت ربّى إنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت. فلا إله إلا أنت، لا إله إلا أنت.

فإذا قام إلى الصلاة متوجهًا فليقل: اللهُ أكبر كبيرًا، والحمدُ لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً.

ثم ليسبِّح عشرًا، وليحمد عشرًا، وليهلّل عشرًا، وليكبِّر عشرًا، وليقل: اللهُ أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والجلال والعظمة والقدرة.

---

(١) المعروف فيه «نوم الصائم . . .» كما قال العراقى، رواه أبو نعيم من حديث ابن مسعود فى الحلية ٥/٨٣، وانظر: الأسرار المرفوعة، لعلى القارى، ص٣٧٤.

وليقل هذه الكلمات، فإنها مأثورة عن رسول الله ﷺ فى قيامه للتهجُّد: اللهم لك الحمدُ أنت نورُ السموات والأرض، ولك الحمدُ أنت بهاءُ السموات والأرض، ولك الحمدُ أنتَ نورُ السموات والأرض، ولك الحمدُ أنت زَينُ السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيّامُ السموات والأرض ومَن فيهنّ ومَن عليهنّ، أنت الحقّ، ومنك الحقّ، ولقاؤك حقٌّ، والجنة حقٌّ، والنّار حقٌّ، والنبيون حقٌّ، ومحمد ﷺ حقٌّ.

اللهم لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وبكَ خاصمتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفر اللهم يا ربّ لى ما قدّمتُ وما أخّرتُ، وما أسْرَرتُ وما أعْلَنتُ، أنت المقدِّم وأنتَ المؤخِّر، لا إله إلا أنت.

اللهم آتِ نفسى تَقْواها، اللهم زكِّها أنت خيرُ من زكاها، أنت وليُّها ومولاها.

اللهم اهدنى لأحسن الأعمال لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنّى سيِّئَها لا يصرف عنى سيِّئَها إلا أنت.

أسألك مسألةَ البائس المسكين، وأدعوك دعاءَ المفتقرِ الذليل، فلا تجعلنى بدعائك ربِّ شَقيًا، وكن بى رءوفًا رحيمًا، يا خيرَ المسؤولين، ويا أكرمَ المُعْطين.

ويستحبّ أن يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين. ويُستحب له أن لا يأكل شيئًا ولا يشرب ماء حتى يقضى نَهْمَتَهُ[1] من صلاته، فإنّ العبَد إذا استيقظ من نومه يكون جامَّ[2] القلبِ، فارغَ الهمّ؛ فإذا أكَل أو شرِب تغيّر قلبه عن هيئته، فليؤخر أكلَه وليقدِّم صلاته[3]، إلا أن يخاف أن يَفْجَأه الفجرُ إن لم يتسحّر أو يشرب، فليبدأ حينئذ بذلك.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

❊ ❊ ❊

(١) فى (ط): «همته» والصوابُ ما أثبت من (ك). والنَّهْمة: الحاجة وبلوغ الهِمَّة والشهوة فى الشىء.

(٢) جامّ القلب: مجتمعه غير مشتت.

(٣) فى (ط): «فليغيب أكله إلا»، وأثبت ما فى (ك).